خطبة: أو ليلة في القبر

فضيلة الشيخ: عائض بن عبد الله القرني

.....

الحمد لله رب العالمين.

(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعلون)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، يزيد في الخلق ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير).

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بعثه ربه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا.

بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

فارقتُ موضعَ مرقدي يوماً ففارقني السكون.....القبرُ أولُ ليلةٍ بالله قلي ما يكون

ليلتانِ اثنتان يجعلها كلُ مسلمٍ في مخيلته.

ليلةٌ وهو في بيته مع أطفاله وأهله.

منعما سعيدا، في عيشٍ رغيد في صحة وعافية، يضاحكُ أطفاله ويضاحكونه.

والليلةُ التي تليها مباشرةً ليلةٌ أتاه الموت فوضع في القبر، أي ليلتين ؟

ليلةٌ ثانيةٌ وضع في القبر لأولِ مرة، وذاك الشاعرُ العربيُ يقول:

فارقتُ موضعَ مرقدي يوماً ففارقني السكون، يقول:

انتقلتُ من مكانٍ إلى مكـان، وذهبـتُ مـن موضـع نـومي فـي بيتي إلى بيتٍ آخر فما أتاني النوم.
فبالله كيف تكونُ الليلةُ الأولى في القبر ؟
يومَ يوضعُ الإنسانَ فريداً وحيداً مملقاً إلا من العمل، لا زوج ةَ ولا أطفال ولا أنيس:
(ثم ردوا إلـى اللـهِ مـولاهم الحـق، ألا لـهُ الحكـمُ وهـو أسـرع الحاسبين).
أولُ ليلةٍ في القبر بكاء منهـا العلمـاء، وشـكاء منهـا الحكمـاء، ورثاء إليها الشعراء، وصـنفت فيهـا المصـنفات. أولُ ليلـةٍ فـي القبر.
أتيَ بأحد الصالحين وهو في سكراتِ الموت لدغته حيه.
وكان في سفر، نسـي أن يـودع أمـه وأبـاه وأطفـالهُ وإخـوانه، فقال قصيدةً يلفظُها مع أنفاسه هـيَ أم المراثـي العربيـةِ فـي الشعر العربي. يقولُ وهو يُزحفُ إلى القبر:

فلله دري يوم أُتركُ طائـعاً ..... بنيَ بأعلى الرقمتينِ ودارِيا
يقولون لا تبعد وهم يدفنونني .....و أين مكانُ البعد إلا مكانيا

يقول كيف أفارقُ أطفالي في لحظة ؟
لماذا لا أستأذنُ أبوي ؟
أهكذا تُختلسُ الحياة، اهكذا أذهب ؟
أهكذا أفقدُ كل ممتلكاتي ومقدراتي في لحظة ؟
ويقولُ عن نفسه:
يقولُ لي أصحابي واللذينَ يتولونَ دفنـي، لا تبعـد أي لا أبعـدك الله.
وأين مكانُ البعد إلا هذا المكان ؟
وأين الوحشةُ إلا هذا المنقلب ؟
وأين المكان المظلم إلا هذا المكان ؟
فهل تصورَ متصورٌ هذا.

(حتى إذا جاء أحدهم المـوتُ قـال ربـي ارجعـون لعلـي أعمـل صالحا في ماتركت، كلا إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).
كلا، آلان تراجع حساب ، آلان تتوب، آلان تنتهي عن المعاصي.
يا مدبرا عن المساجد ماعرف الصلاة.
يا معرضا عن القرآن، يا متهتكا في حدود الله.
يا ناشئا في معاصي الله.
يا مقتحما لأسوار حرمها الله.
آلان تتوب، أين أنت قبل ذلك ؟
أو ليلية في القبر.
قال مؤرخوا الإسلام:
مات الحسنُ ابن الحسنِ من أولادِ علي ابنَ أبي طـالب رضـي الله عنه و أرضاه.
كان عنده زوجةٌ و أطفال.
كان في الشباب، والموتُ لا يستأذنُ شـاباً ولا غنيـاً ولا فقيـراً ولا أميراً ولا ملكاً ولا وزيراً ولا سلطانا، الموتُ يقصمُ الظهـور ويخرجُ الناسَ الدور وينزلهم من القصـور ويسـكنهم القبـور بلا استئذان.
الحسن ابنُ الحسن مات فجأة، نقلوه إلى المقبرةِ.
فوجدت علية امرأتُه وحزِنت حزناً لا يعلمه إلا الله.
أخذت أطفالها وضربت خيمةً حول القبر.
(وهذا ليس من عمل الإسلام ولولا أن مؤرخو الإسلام ذكـروه ما ذكرته).
ضربت خيمةً حول القبر وأقسمت بالله لتبكينا هـي و أطفالهـا على زوجِها سنةً كاملة.
هلعٌ عظيم وحزنٌ بائس.
وبقيت تبكي فلما وفت سنة أخذت إطنـاب الخيمـةِ وحملتهـا و أخذت أطفالها في الليل.
فسمعت هاتفاً يقول لصاحبه في الليل:

هل وجدوا ما فقدوا ؟، هل وجدوا ما فقدوا ؟
فردَ عليه هاتفٌ أخر قال :
لا، بل يئِسوا فانقلبوا.
ما وجدوا ما فقدوا، ما وجدوا ضعيتهم، ولا وديعتهم:
كنزُ بحلاون عند الله نطلبُه.....خير الودائعِ من خير المؤدينا
(قال لا، بل يئِسوا فانقلبوا).
ما كلمَهم من القبر، ما خرج إليهم ولو في ليلةٍ واحدة، ما قبل أطفاله، ما راى فتاته، لا.
ولذلك هذه هي أولُ ليلةٍ ولكن لها ليالٍ أخرى إذا احسن العمل.
قل الله، جل الله :(والذين أمنوا واتبعتهم ذريتهم بإحسان، ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل أمرء بما كسب رهين).
أتى أبو العتاهية يقول لسلطانٍ من السلاطينِ غرتُه قصوره، وما تذكرَ أولَ ليلةٍ ينزل فيها القبر.
ونحن نقول لكل عظيم ولكل متكبر، متجبر أما تذكرت أو ليلة ؟
هذا السلطان بناء قصوراً في بغداد، فدخل عليه الشاعر يهنئه بالقصور يقول له:
عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقةِ القصور
عش ما بدا لك سالماً عش ألف سنه، عش مليون سنه سالماً معافاً مشافا.
يجري عليكَ بما أردتَ مع الغدوِ مع البكور
ما تريدُ من طعام، ما تريدُ من شراب هو عندك أسمع ماذا يقول:
فإذا النفوسُ تغرغرت بزفيرِ حشرجةِ الصدور..... فهناك تعلمُ موقناً ما كنت إلا في غُرور
فبكى السلطان حتى أغمي عليه: فهناك تعلمُ موقناً ما كنت إلا في غُرور.

أولُ ليلةٍ في القبر.
وأنا أطالبُ نفسي و إياكم آيامعاشر المسلمين أن نهياء لنا نوراً في القبر أولُ ليلة.
و ولله لا ينورُ لنا القبر إلا العملُ الصالح بعد الإيمان.
لنقدمَ لنا ما يؤنسُنا في القبر يوم ننقطَعُ عن الأهل المال الولد والأصحاب.
خرج عليه الصلاة والسلام إلى تبوك:
وفي ليلةٍ من الليالي نامَ هوَ الصحابة، وكانوا في غزوةٍ في سبيل الله.
قال ابنُ مسعود رضي الله عنه و أرضاه:
قمتُ أخرَ الليل فنظرتُ إلى فراش الرسولِ (ص) فلم أجده في فراشه.
فوضعتُ كفي على فراشهِ فإذا هوَ بارد.
وذهبتُ إلى فراشِ أبي بكر فلم أجده على فراشه.
فألتفت إلى فراشِ عمر فما وجدته،
قال وإذا بنورٍ في أخر المخيم وفي طرف المعسكر، فذهبتُ إلى ذلك النور ونظرتُ.
فإذا قبرٌ محفور، والرسولُ عليه الصلاة والسلام قد نزلَ في القبر.
وإذا جنازةٌ معروضةٌ، وإذا ميتُ قد سجي في الأكفان.
وأبو بكرٍ وعمر حول الجنازة، والرسولُ(ص) يقول لأبي بكر وعمرَ دلّيا لي صاحَبكما.
فلما أنزلاهُ، نزلهُ (ص) في القبر، ثم دمعت عيناه عليه الصلاة والسلام ثم التفتَ إلى القبلةِ ورفع يديه وقال:
(الهم إني أمسيتُ عنه راضٍ فأرضَ عنه)، (الهم إني أمسيتُ عنه راضٍ فأرضَ عنه)،
قلت من هذا ؟
قالوا هذا أخوك عبد الله ذو البجادين مات في أولِ الليل.

قال ابنُ مسعود فـوددت واللـهِ أنـي أنـا الميـت : (الهـم إنـي أمسيتُ عنه راضٍ فأرضَ عنه).
وإذا رضي اللهُ عنِ العبدِ أسعده.
وإنما هي مسألةٌ لمن نسـيَ اللـهَ و أوامـرَ اللـه وانتهـكَ حـدودَ الله.
نقولُ له هل تذكرتَ يا أخي أولُ ليلةٍ في القبر ؟
كان عمر بن عبد العزيز أميراً من أمراء الدولـةِ الأمويـة، يغيـرُ الثوبَ من حريـر فـي اليـومِ اكـثرَ مـن مـرة، الـذهبُ والفضـةُ عنده.
الخدم القصور، المطاعم المشـارب كـلَ مـا اشـتهى وكـل مـا طلبَ وكلَ ما تمنى.
ولما تولى الخلافة، مُلك الأمة الإسلامية انسـلخَ مـن ذلـك كلِـه لأنه تذكرَ أولَ ليلةٍ في القبر.
وقف على المنبرِ يوم الجمعةِ فبكى وقد بايعتهُ الأمة.
وحـولَه الأمـراء الـوزراء والشـعراء والعلمـاء وقـوادَ الجيـش، فقال:
خذوا بيعتَكم.
قالوا ما نريدُ إلا أنت.
فتولاها فما مرَ عليه أسبوعٌ أو أقل إلا وقد هزُل، وضعف وتغير لونه ما عنده إلا ثوبٌ واحد.
قالوا لزوجتهِ مالِ عمرَ تغير ؟
قالت واللهِ ما ينامُ الليل، والله إنه يأوي إلـى فراشـه فيتقلـبُ كأنه ينامُ على الجمر ويقول:
آه تـوليت أمـر أمـةِ محمـد، يسـألني يـوم القيامـةِ الفقيـر والمسكين والطفلُ والأرملة.
يقولُ له أحد العلماء يا أمير المؤمنين:
رأيناك قبل أن تتولى الملك وأنت فـي مكـة فـي نعمـةٍ وفـي صحة وفي عافيه، فمالك تغيرت؟

فبكى رضي اللـه عنـه حـتى كـادت أضـلاعَه تختلـف، ثـم قـال للعالم وهو أبن زياد:
كيف بك يا ابن زياد لو رأيتني في القبرِ بعد ثلاثةِ أيام.
يومَ اجرد عن الثياب، و أوسد التراب، وأفارقُ الأحبـاب وأتـرك الأصحاب.
كيف لو لرأيتني بعد ثلاث والله لرأيت منظراً يسوءك.
فنسأل اللهَ حسن العمل.
والله والله لو عاش الفتى في عمرهِ .... أسمع
والله لو عاش الفتى في عمرهِ .....ألفاً من الأعوامِ مالكَ أمره
متنعماً فيها بكلِ لذيذةٍ .....متلذذاً فيها بسكنا قصره
لا يعتريه الهمُ طول حياته ..... كلا ولا تردُ الهمومُ بصدره
ما كان ذلك كلُه في أن يفي..... فيها بأولِ ليلةٍ في قبره
واللهِ لو عاش ألف سنه، وما طرقَه همٌ ولا غم ولا حزن.
واللهِ لا يفي بأولِ ليلةٍ في القبر.
و واللهِ لننزلنَها جميعاً، أولُ ليله.
فيا عباد الله، أسألُ الله لي ولكم الثبات، ما ذا أعددنا لضـيافةِ تلك الليلة ؟
يقول رسولُنا (ص) :
(القبرُ روضةٌ من رياض الجنةِ أو حفرةٌ من حُفرُ النا).
كان عثمانُ بنُ عفانُ الخليفةَ رضـي اللـه عنـه إذا شـيعَ جنـازةٍ بكى حتى يغمى عليه فيحملونَه إلى بيتهِ كالجنازة إلى بيته.
قالوا مالك ؟ قال سـمعتُ الرسـولَ (ص): (يقـول القـبرُ أولُ منازلِ الآخرة فإذا نجا العبدُ فيه أفلح وسعُد، وإذا خسرَ والعياذُ بالله خسرَ أخرتَه كلها).
والقبرُ روضةٌ من الجنانِ .....أو حفرةٌ من حُفر النيرانِ
إن يكو خيراً فالذي من بعده.... أفضلُ عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فما بعدُ أشد..... ويلٌ لعبدٍ عن سبيلِ اللهِ صد.

أقول مـا تسـمعون وأسـتغفر اللـه العظيـم الجليـل لـي ولكـم ولجميع المسلمين.
فأستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.

لحمـد للـه رب العـالمين، ولـي الصـالحين، ولا عـدونا إلا علـى الظالمين.
والصلاة والسلام عـل إمـام المتقيـن وقـدوة النـاس أجمعيـن، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أتيتُ القبورَ فناديتُها ..... أين المعظمُ والمحتقر ؟
أتيتُ القبور. قبور الرؤساءِ و المرؤوسين.
قبور الملوك والمملوكين
قبور الأغنياءِ والفقراء فناديتُها أين المعظمُ والمحتقر ؟
تفانوا جميعاً فما مخبرٌ.. وماتُوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا.. أما لك في ما مضى معتبر
تروحُ وتغدو بناتُ الثَرى..... فتمحو محاسنَ تلك الصور.
أريت قبراً ميز عن قبر ؟
أ أنزل الملكُ في قبرٍ من ذهبٍ أو فضه ؟
والله لقد ترك ملكَهُ وقصوره وجيشـهُ وكـلَ مـا يملـك، ولبـسَ قطعةً من القماش كما نلبس وأُنزل التراب.

ولدتك أمك باكيا مستصرخا.....والناس حولك يضحكون سرورا
فأعما لنفسك أن تكون إذا بكوا.....في يوم موتك ضاحكا مسرورا

لكـن كـثيرا مـن النـاس علمـوا بـالقبر، وأول ليلـة فـي القـبر فأحسنوا العمل، ولذلك متهيئون دائما.
يريدون الله والدار الآخرة، ثبتهم الله في الليلِ والنهار.
يترقبون الموت كل طرفة عين.

خرج رجلُ من الصالحين وشيخُ من المشائخ أعرفه من مدينة الرياض.
خرج بزوجته وكانت صائمة قائمة وليّة من ولياء الله، خرج يريد العمرة، والغريب في تلك السفرة أنه ودعت أطفالها، وكتبت وصيتها، وقبلت أطفالها وهي تبكي. كأنها ألقي في خلدها أنها سوف تموت.
(ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين).
ذهب وأعتمر بزوجته وهو وإياها في بيت أسس على التقوى، إيمان وقرآن وذكر وصيام وقيام وعبادة.
لا يعرفون الغيبة ولا الفاحشة ولا المعاصي.
عاد معها فلما كان في الطريق إلى الرياض، أتى الأجل المحتوم إلى زوجته.
(وعد الله الذي لا يخلف الله وعده، ولكن كثر الناس لا يعلمون، يغلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون).
ذهب إطار السيارة فأنقلبت ووقعت المرأة على رأسها، لكنها إن شاء الله شهيدة.
(أولئك الذين نتقبلوا منهم أحسن ما عملوا، ونتجاوز عن سيئاتهم، في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون).
خرج زوجها من الباب الآخر، ووقف عليها وهي في سكرات الموت تقول:
لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله، الله، الله.
وتقول لزوجها: عفى الله عنك، اللقاء في الجنة، بلغ أهلي السلام.
(والذين أمنوا واتبعتهم ذريتهم بإحسان، ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء، كل أمرء بما كسب رهين).
إي والله.

أسأل الله أن يجمع تلك الأسرة في الجنة، وأن يجمعنا وأحبابنا وأقاربنا في الجنة.

بنتم وبنا فما أبتلت جوانحنا...شوقا إليكم ولا جفت ماقينا
تكادُ حين تناجيكم ضمائنا.....يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
إن كان عز في الدنياء اللقاء ففي.....مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

عاد الرجل إلى الرياض و دفن زوجته، دخل بيته وحده بلا زوجة، دخل بيته واستقبله الأطفال
لكن حياة سهلة وبسيطة.
ولكن الموقف المرعب أن واحدة من الطفلات بنت، قامت تقول أين أمي؟
قال سوف تأتي.
قالت لا والله لا بد أن أرى أمي.
وأنهار الرجل.
ونقول لتلك الطفلة سوف ترينها بأذن الله في جنة عرضها السماوات والأرض.
يعمل لها العاملون، ليست كدنيانا الحقيرة، السخيفة التي يعمل لها الذين لا يريدون الله والدارالآخرة.
(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين).

فاعمل لدار غدا رضوان خازنها.....الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها.....والزعفران حشيش نابت فيها

يا أخوتي في الله:
يا شيخاً كبيراً احدودب ظهرُه ودنى أجلُه، هل أعدت لأولِ ليله ؟
يا شاباً مصطحاً متنعماً غره الشباب والمالُ والفراغ هل أعدت لأولِ ليله ؟

إنها أولُ الليالي:
و إنها إما أولُ ليلةٍ من ليالي الجنةِ.
أو أولُ ليلةٍ من ليالي النار.

عباد الله:
صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه.
وصلوا على أصحابه، وترضوا على أحبابه.
أسأل الله لي ولكم الضوان، والسعادة في الدنيا والآخرة.
أسال الله أن يصلح ولاة الأمر، وأن يهديهم سواء السبيل.
أسأل الله أن يصلح شباب الإسلام، وأن يخرجهم من الضلمات إلى النور، وأن يكفر عنهم سأيتهم.
وأن يهيئهم بعمل صالحا لأول ليلة من ليالي القبر
أسأل أن يثبتَنا و إياكم بالقول الثابت.
وولا يظلم ابصارنا وبصائرنا.
ولا يجعلنا قوماً انحرفوا عن منهجِ الله و اشتروا معاصِ الله، وغفلوا عن آياتِ الله، فعموا وصَموا وضلوا و ابتعدوا.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

.....

تم بحمد الله ومنه وكرمه

.....

أخي الحبيب – رعاك الله
لا نقصد من نشر هذه المادة القراءة فقط أو حفظها في جهاز الحاسب.
بل نأمل منك تفاعلا أكثر من خلال:
- إبلاغنا عن الخطأ الإملائي أو الهجائي كي يتم التعديل.
- نشر هذه المادة في مواقع أخرى على الشبكة.
- مراجعتها ومن ثم طباعتها وتغليفها بطريقة جذابة كهدية للأحباب والأصحاب.
أخي الحبيب لا تحرمنا من دعوة صالحة في ظهر الغيب.
من خلال اقتراحاتك وتوجيهاتك لأخيك يمكن أن تساهم في هذا العمل الجليل.
اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.

للتواصل أخوكم البوراق / anaheho@maktoob.com